البحث التاريخي في بلاد المغرب القديم (مشاكله والحلول المقترحة)

د/شباحي مسعود

جامعة الحاج لخضر-باتنة

الملخص:

تتناول هذه الدراسة جانبا مهما من تاريخنا وهو تاريخ المغرب القديم والذي يعد امتدادا لتاريخنا الحديث والمعاصر، "فلا حاضرا لمن لاماضي له ، ولا مستقبل لمن لاحاضر له"،وانطلاقا من هذا المنظور فان المتتبع لمسار تاريخ المغرب القديم يلاحظ بأن هذ التاريخ مازالفي حاجة الى معالجة شاملة خاصة وأن معالمه الكبرى لم تتضح بعد، وهو يحتاج الى مزيد من المجهودات والبحوث الجادة التي قد تزيل عنه ركام السنوات، وتعيد له وطنيه التي حاول مؤرخوا الفترة الكولونيالية وقبلهم المؤرخون الاغريق والرومان توجيهه بما يخدم مصالح بلدانهم، غيرأن هذ العمل يواجه اليوم مشاكل عديدة تحول دون استكماله، سواء على المستوى القطري أو على المستوى الاقليمي وهو ماسنحاول معالجته من خلال هذه الدراسة.

Summary:

This study address an important aspect of our history and the history of the Ancient Maghrebwhich is considered to be an extension of our recent and contemporary history, "those who don't have a past don't have a presentand There is no future for those who don't have a present", Proceeding from this perspective, the observer of the path of the Ancient Maghreb history notes that this history is in need for a total comprehensive treatmentespecially that its major milestone are yet to be clear ,It needs more efforts and serious research that may remove the rubble of the yearstoretrieve its patriotism ,which the colonial historian and before them the Greece and the Roman historian tried to guide it with what serve their countries, However, this work today is facing many problems preventing its completionboth on the regional and territorial level, and that is what we will try to address through this study.

لا جدال في أن التاريخ يمثل ذاكرة الشعوب، وما أحوجنا كشعوب مغاربية بصفة عامة والشعب الجزائري بصفة خاصة أن نتذكر بين الحين والأخر تاريخنا وأن نمعن التأمل فيه ونغوص في احداثه ووقائعه وأن نناقش قضايانا بنزاهة وموضوعية لنستلهم منها الدروس والعبر وننطلق منها لمستقبل أكثر اشراقا، فالتاريخ عملية مستمرة من التفاعل بين الماضي والحاضر وصولا الى المستقبل.

ووفقا لهذا المنظور فان مجهودات الباحثين وصناع القرار في الدولة يجب أن تنصب في الرفع من رصيد مستوى أمتنا الثقافي، وتنقية تراثنا الحضاري مما علق به من شوائب ابان الفترة الكولونيالية ومحوى آثارها من عقول الأجيال الحالية والقادمة.

غير أن الوصول لهده الأهداف تبقى رهبته البحث العلمي في بلدان المغرب العربي بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة، وهذا نظرا للمشاكل الكبيرة التي تواجه هؤلاء الباحثين في مجال البحثالتاريخي.

وقبل التطرق الى أهم هده المشاكل والعقبات التي تواجه الباحث في تاريخ المغرب القديم بصفة خاصة والحديث والمعاصر بصفة عامة يجب أن نعرف التاريخ.

1-مفهوم التاريخ:

على الرغم من أن أنماط مختلفة من الناس تستخدم كلمة (تاريخ) في مناسبات مختلفة وفي ظروف متباينة فان كل فريق منهم يقصد بالكلمة نفسها معنى يختلف عن المعنى الذي يقصده الفريق الآخر، ويبدو منطقيا أن نحاول منذ البداية التعرف على المعنى اللغوي لكلمة تاريخ، ذلك أن هذه الكلمة تثير من المشكلات حول معناها اللغوي ومدلولها في اللغة العربية، كما أن نظرائها في

اللغات الأوروبية تثير من المشكلات المتشابهة لأن الكلمة تحمل عدة معان متباينة أحيانا ومتقاربة أحيانا أخرى.[2]

فاغلب المؤرخين يقصرون معنى التاريخ على بحث واستقصاء حوادث الماضي، كما يبدل على ذلك لفظ (هستوريا) (Historia)المستمد من الأصل اليوناني القديم، أي كل ما يتعلق بالإنسان منذ أن بدأ يترك آثاره على الصخر والأرض لتسجيل أو وصف اخبار الحوادث التاريخية التي المت بالشعوب والأفراد، وقد تدل كلمة تاريخ على مطلق مجرى الحوادث الفعلي الذي يصنعه الأبطال والشعوب والتي وقعت منذ أقدم العصور واستمرت وتطورت في الزمان والمكان حتى الوقت الحاضر. [3]

وكلمة تاريخ في اللغة العربية تعني عدة أشياء فالسحاوي في كتابه (الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ) يعرف التاريخ بأنه ""الاعلام بالوقت، وقد يدل تاريخ الشيء على غايته ووقته الذي ينتهي اليه زمنه، ويلتحق به ما ينبثق من الحوادث والوقائع الجليلة، وهو فن يبحث عن واقع الزمان من ناحية التعيين والتوقيت، وموضوعه الانسان والزمان ومسائله وأهواله المفصلة للجزئيات تحت دائرة الأحوال العارضة للإنسان وفي الزمان." [4]

ويرى ابن خلدون أن التاريخ ""في ظاهرة لا يزيد عن اخبار الأيام والدول والسوابقمن القرون الأولى، تنمو فيها الأقوال وتضرب فيها الأمثال وتؤدي الينا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال، واتسع للدول فيها السلطان والمجال،

---

[2]-قاسم عبده قاسم ، تطور منهج البحث في الدراسا تالتاريخية ، ط.1، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، كلية الآداب ، جامعة الزقازيق،القاهرة،2000،ص.14.

[3]-حسن عثمان، منهج البحث التاريخي ، ط.8، دار المعارف ، القاهرة ،ص.12.

[4]-السحاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمان ، القاهرة،1349،ص.7.

وعمروا في الأرض حتى نادى بهم الارتجال، وحان منهم الزوال، وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها". [5]

ومعنى هذا التعريف ان التاريخ لايقتصر على دراسة الحروب والحوادث الماضية بما فيها من أحوال الحكومات والحكام والدول ، بل أنه يبحث في جميع مظاهر الحياة الماضية سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو كانت فنية أو فكرية أو دينية. [6]

ولا يتوقف الجدال بين العلماء حول المفهوم اللغوي لكلمة تاريخ بل يتعداه الى الاختلاف حول ما إذا كان التاريخ علما أم لا. فقد قال بعضهم مثل (و.س.جيقونز) ان التاريخ لا يمكن أن يكون علما لأنه يعجز عن اخضاع الوقائع التاريخية لما يخضعها له العلم من المعاينة والمشاهدة والفحص والاختيار والتجربة، وبذلك لا يمكن في دراسته استخلاص قوانين علمية يقينية ثابتة على نحو ما هو موجود بالنسبة لعلم الطبيعة أوعلم الكيمياء مثلا. [7]

ولما كان التاريخ مختلفا عن موضوعات غيره من العلوم وجبأن يكون منهجه كذلك مختلفا عن بقية المناهج الأخرى ومقتصرا على موضوع التاريخ ، ذلك أن علم التاريخ مبني على الوثائق،مما يعني انه يحتاج الى اثبات الحادث التاريخي ، والى نقد الوثائق والآثاروالأخبار التي تبرهن على وجود هذا الحدث في الماضي وتاسسا على خصوصيات التاريخ المنهجية فان البحث في

---

[5]-المقدمة ، مطبعة كتاب التحرير، القاهرة،1966،ص.9.

-[6]http://www.onefd.edu.dz/3ass/cours/nouveau_prog/Lettres-Langues/PHILOSOPHIE/ev3/5-Ev3-philo.pdf

[7]-حسن عثمان، المرجع السابق،ص.16.

موضوعه يتم بالاعتماد على مراحل ثلاث هي: جمع الوثائق والآثار ونقدها ثم التحليل والتفسير. [8]

وبغض النظر عن كون التاريخ علما أم لا فهو فن من الفنون، وأن العلم لا يمكنه أن يعطينا عن الماضي سوى العظام المعروقة البالية وأنه لا بد من الاستعانة بالخيال لكي تنشر تلك العظام وتبعث فيها الحياة ،ثم هي بحاجة كذلك الى براعة الكاتب حتى تبرز في الثوب اللائق بها. [9]

2-الشروط الواجب توفرها في المؤرخ

إذا كان علم التاريخ ضروريا للدراسة الخاصة والعامة ولثقافة الشعوب بعامة فلا بد من بحثه ودراسته وكتابته قبل أن يدرس في المدارس والمعاهد والجامعات.

ومن الصفات الواجب توفرها في المؤرخ كما في غيره من الدارسين أن يكون محبا لبحثه جلدا صبورا فلا تمنعه وعورة البحث ولا المصاعب والعقبات من مواصلة العمل ولا توقفه ندرة المصادر ولا يصرفه عن عمله غموض الوقائع و الحقائق التاريخية واختلاطها واضطرابها، وينبغي عليه الحل والترحال من بلد لآخر و في وطنه وفي كل مكان يمكن أن يعثر فيه على ما يفيد بحثه، وينبغي عليه ألا يتسرع أو يتعصب مستعجلا نيل منفعة لأن هذا سيكون على حساب العلم والحقيقة التاريخية. كما أن عليه أن يكون أمينا فلا يكذب ولا ينتحل ولا ينافق أصحاب الجاه والسلطان ولا يخفي الوقائع والحقائق التي قد لا يعرفها غيره

[8]- http://www.onefd.edu.dz/3ass/cours/nouveau_prog/Lettres-Langues/PHILOSOPHIE/ev3/5-Ev3-philo.pdf

[9]-هونشو .ف، علم التاريخ ، ترجمة وتعليق عبد الحميد العبادي ، القاهرة ،1937،ص.8.

في بعض الأحيان اذ أنه لا رقيب عليه غير ضميره، ومن يخرج عن ذلك لا يمكن أن يعد مؤرخا. [10]

ولأن كل كاتب متميز باسلوبه الخاص وطريقته في التعبير وجب على المؤرخ أن يعرف بدقة اتجاه كاتب الوثيقة ، وعليه أن يعمد الى التأويل ان وجد لدى المؤلف غموضا أو نقصا أو اختلافا مع غيره من الرواة ليصل الى غرض المؤلف الحقيقي ، ويدرك قصده من ذلك الاختلاف ، وهل هو على صواب أم أنه هو المخطىء سهوا أو قصدا، وهكذا فعندما يتم النقد الداخلي والخارجي يكون النقد التحليلي قد تم بهما ، وهي العملية التي يطلق عليها ابن خلدون اسم ، (التمحيص)وهو لايتم الا اذا كان المؤرخ واسع الثقافة ومتمكنا من العلوم المساعدة.[11]

كما أن من الصفات الأساسية للمؤرخ هو عدم التحيز أو اظهار الكراهية لعصر خاص أو لناحية تاريخية معينة.

3-صعوبات البحث في تاريخ المغرب القديم:

لعل من أبرز الصعوبات التي يصطدم بها الباحث في مجال تاريخ المغرب القديم مايلي:

أ-مشكلة التسمية أو المفهوم الجغرافي.

تغيرت الخارطة السياسية للمغرب القديم عدة مرات في نصوص المصادر الكتابية الاغريقية والرومانية ، فقد كانت تضيق أو تتسع وفقا لتحركات القبائل المحلية التي كانت مواطن انتشارها تمثل حدود المغرب القديم، لكن الثابت هو أن الحدود الطبيعية تمثل المنطقة الممتدة بين غرب النيل شرقا

[10]-حسن عثمان، المرجع السابق،ص.18.

[11]- http://www.onefd.edu.dz/3ass/cours/nouveau_prog/Lettres-Langues/PHILOSOPHIE/ev3/5-Ev3-philo.pdf

الى راس (سولويس) عل اطراف المحيط الأطلسي غربا ، ومن ساحل البحر المتوسط شمالا الى التخوم الصحراوية جنوبا[12]

يفتتح المؤلفون كتبهم التاريخية عن الأرض والسكان والمجتمع كأنهم شاهدوا بداية التاريخ في البقعة التي يكتبون عنها،هذا بالطبع وهم خالص، لا نستطيع أن نمسك مباشرة الأولويات،يستحيل علينا أن نضع أنفسنا محل المغاربة وهم على وشك ولوج حيز التاريخ، ان هذا الفهم المتداول من الكتب إذا هو اعتمد على بحوث جدية لا نزاع فيها كان ضمن التاريخ الطبيعي واذا كان افتراضيا كما هو الشأن عادة فانه يحمل معه فلسفة الاستعمار. [13]

والسؤال الذي يجب طرحه في هذا المقام هوهل يجوزلنا أن نؤرخ للمغرب كوحدة؟يسال البعض، أي بقعة أرضية نعنون، اذا قلنا شمال افريقيا اعترض الجغرافيون لأننا نحيد مصر، واذا قلنا شمال غرب افريقيا كنا أقرب الى الواقع لكن الوصف يعبر عن حالة سياسية معاصرة، واذا قلنا أرض البربر استعملنا عبارة كانت رائجة في أوروبا في بداية العصر الحديث ثم نبذت لما تحمله من خلفيات سياسية وربما عرقية. وهل تعني صعوبة التسمية أن مشروعنا مصطنع وأنه لا يوجد تاريخ مشترك حقيقي لجميع شعوب المنطقة.ماأكثر من يستنتج هذا الاستنتاج ويركن الى التاريخ القطري، عندما يدخل في مناقشات مضحكة ينازع زملاؤه في الأقطارالأخرى في جنسية كاتب (كأغسطين) [14] او (الونشريسي)أو

---

[12]-مها عساوي ،المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ماقبل التاريخ الى عشية الفتح الاسلاميي، رسالة دكتوراه ، نوقشت بقسم التاريخ ، جامعة منتوري قسنطينة ، 2010،ص .25

[13]-عبد الله العروي، مجمل تارخ المغرب ،ط.5، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1966، ص.32.

[14]-ولد(أغوسطينوس) في سوق اهراس (354- 430)ق .م من أب مشرك متسامح وأم مسيحية تدعى القديسة مونيك وكان لها عليه تاثير كبير ويعد من اشهر لاهوتي عصر الآباء

أمير(كعبد المؤمن الموحدي)أو مفكر (كابن خلدون)،تعتبر قرارات متعلقة بمناطق خارجة عن حدود لم تكن مرسومة انذاك ضمن السياسة الخارجية، فهذه متاهات تدل على أن التاريخ القطري لا يقل عسفا عن التاريخ الوحدوي.[15]

ب-المصطلح السكاني:

ان المتتبع لتاريخ المغرب القديم يلاحظ عدم الاهنمام بتوحيد مصطلحات التاريخ القديم سواء تعلق الأمر بالاطار الجغرافي أو السكاني مما يطرح معه اشكالية المفهوم لدى المؤرخين المحدثين مما ادى الى ظهور مجموعة مدارس تطلق تسميات مختلفة وفقا لمرجعياتها ومنطلقاتها السياسية والأديولوجية.

وتعد النصوص المصرية أول وأهم الوثائق التاريخية التي تشكل مصدرا أساسيا يخبرنا عن الملامح العامة لقبائل بلاد المغرب القديم، والتي عرفت بتسميات شهيرة في النصوص الهيروغليفية.[16] ألا وهي قبائل(التحنو)(والتمحو) ثم (الليبو) [17] و(المشوش)، على أن أكبر هذه المجموعات هي المعروفة بقبائل (الليبو) والتي امتد نفوذها حتى شمل معظم شمال افريقيا، وكان أول ماورد هذا الاسم في النقوش الهيروغليفية ، ولذلك فان اللوبيين القدماء الذين أشارت اليهم

الكاثوليك درس في سوق اهراس ثم في مداوروش واخيرا في قرطاجه وقف الى جانب الكنيسة الكاثوليكية ولكنه تراجع عن ذلك وساند دعاة الحركة الدوناتية .

15-عبد الله العروي ، المرجع السابق،ص.33.

16-معناها الكتابة المقدسة.

17-أطلق اليونان على جميع أهالي افريقيا الشمالية أو الليبيين اسم قوم كانوا يعيشون بين خليج سيرتا والنيل وهم الليبيون ، واستعمل القرطاجيون والعبرانيون نفس التسمية وكذلك الرومان ، فقد عمموا اسم الموريون على جميع سكان بلاد البربر ، وكان في الأول خاصا بسكان شمال المغرب الأقصى. شارل انذري جوليان ، تاريخ افريقيا الشمالية ج.1 ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلامة ،الدار التونيسية للنشر 1983،ص.12

المصادرالأثريةوالتاريخية لاينحصرون في منطقة غرب النيل وانما يعنى بهم سكان بلاد المغرب القديم منذ الألف الثانية قبل الميلاد. [18]

كما اهتم الكتاب الاغريق والرومان وفي مقدمتهم المؤرخهيرودوت)(Hirodote)[19]بالمجتمع الليبي أو اللوبي وأشار الى أنهم تلك الأقوام التي تسكن المنطقة المحصورة بين غرب النيل الى سواحل الأطلسي وعنى بها جميع المجتمعات البشرية في شمال افريقيا والذين يشكلون سكان المغرب القديم ويشتركون في اللغة والإقليم الجغرافي. [20]

وظل مصطلحا(ليبيا والليبيون) يستخدمان في المصادر الإغريقية واللاتينية حتى أواخر العصورالعتيقة، فقد تحدث (فيرجيليوس) (VIRGIL) عن مدن ليبيا ودببة ليبيا، كما استخدم (بلينوس) الكبير مصطلح (الليبيين) للإشارة الى سكان شمال افريقيا،ويصف بالليبية بعض المنتوجات الحيوانية والنباتية الأصيلة في هذه المنطقة. كما تحمل بعض النقوش البونيقية والبونيقية الجديدة هذين المصطلحين، والتي عثر عليها في (سلامبو) وكذا في معبد (الحفرة) الذي عثر فيه على مجموعة منالنصب بها مصطلح(LBY).[21]. أما (بوليبيوس) وهو

---

[18]-مها عساوي، المرجع السابق، ص.84؛ فوزي فهيم جاد الله ، مسائل في مصادر التاريخ الليبي القديم قبل (هيرودوت)(ليبيا في التاريخ) منشورات الجامعة الليبية، بنغازي ، ليبيا،1967،ص.53-54.

[19]-أشهر مؤرخي الاغريق ولد سنة 484 ق.م وتوفي سنة424ق.م.

[20]-بيومي مهران ، تاريخ المغرب القديم، دار المعارف الجامعية، الاسكندرية، 1990،ص.87.

[21]-محمد الهادي حارش،التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ الى الفتح الاسلامي ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر،ص.22؛ ينظر كذلك Gsell st ,Hirodote ,texte Relatifs,L'histoire De L'Afrique Du Nord ,ed , A.jordan et Leureux,Paris,1919,p.70.

مؤرخ اغريقي أيضا من القرن الثالث قبل الميلاد فيرى أن الليبيين هم السكان الاصليون الخاضعون لقرطاجة.

كما يرد اسم (البربر) [22] على لسان الكثير من المؤرخين العرب الذين ربطوا هذه التسمية بالجد الأول (بر)، والبعض الآخر على ما يذكر ابن خلدون نسبوها الى (اقريقش) الذي قال عندما سمعهم يتحدثون (ما اكثر بربرتكم) فسموا بالبربر بمعنى كثرة الأصوات غير المفهومة. [23]

وإذا كان العرب هم الذين أطلقوا اسم (البربر) على السكان الأصليين لإفريقيا الشمالية فان اشتقاق الاسم يرتبط بالكلمة اللاتينية (Barborus) المتداولة عند المؤرخين اللاتينيين للإشارة.كمايحددهم (قزال) بالأهاليالمستعصين عن الحضارة اللاتينية. [24]

وعمل بعض المؤرخين الآخرين على ربط هذه التسمية ببعض الاسماء والمواقع في الهند أو في وادي النيل، وهو ما اعتبره (فنطر) بمثابة هذيان مفتعل علقوا عليه افتراضات أخرى متعلقة بأصل السكان.كما يتداول على نطاق واسع

---

[22]-شاعت هذه التسمية في بداية مرحلة الفتح الاسلامي ، اذ كان المسلمون ينظرون الى بلاد المغرب القديم نظرة اعتراف بكونها وحدة عرقية حضارية وهم يدركون مايوحد بين قبائلها وما ينفرهم وبناء عليه اطلقوا على جموعهم تسمية واحدة وقد انفق جل المؤرخين الأوربيين ان تسميدة البربر قد جاءت من الكلمة اللا تينية (بارباروس) والتي تعني البعيدين عن اطر الحضارة اللا تينية . مها عساوي، المرجع السابق،ص.24.

[23]-ابن خلدون عبد الرحمان ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العجم والبربر،ج.3، القاهرةن 1284ه،ص.87.

[24]-محمد الهادي حارش،المرجع السابق،ص .25؛لقد روج بعض العسكريين وموظفوا الادارة الاستعمارية لفكرة أن البربر أقارب الأوربيين ، حيث نشر الجنرال (بريمون) والذي مثل المصالح الفرنسية في الحجاز أثناء الحرب العالمية الأولى سنة 1938 كتابا بعنوان (بربروعرب) بلاد البربربلاد أوربية ، وهي نظلرة في الحقيقة تعبر عن سياسة ادماج افريقيا الشمالية في المجموعة الأوربية.أنظر:عبد الله العروي، المرجع السابق،ص.47.

مصطلح آخر للسكان وهو(امازيغ) والتي يعتقد (قزال)أنها تعني (النبيل) أو (الحر) .أما ابن خلدون فينسبهم الى أبيهم (مازيغ).

ج-**مشكلة المصادر**:

إن مصادر البحث التاريخي تنقسم الى قسمين: مصادر أصلية أي (أصول) ومصادر غير أصلية. فالمصادر الأصلية تتمثل في المخلفات الأصلية للبحث التاريخي ويستخدمها الباحث عادة في إعادة تركيب الحدث التاريخي واسترداده من الماضي.أما المصادر الغير أصلية فتتمثل في الصور التاريخية التي تم تركيبها عن طريق البحوث والدراسات العلمية والتاريخية بما تتضمنه من آراء وتفسيرات واجتهادات،وهي مصادر مساعدة تستخدم عادة في توضيح الأحداث والقضايا الفرعية التي تتعلق بالحدث التاريخي محل الدراسة. [25]

وأول ما يواجهه الباحث في تاريخ المغرب القديم لاسيما تاريخ الجزائر وبالأخص الفترة السابقة للاستعمار الروماني مشكلة المصادر وهي تتلخص في فيما يلي:

قلة المصادر الكتابية والمادية وغموضها في كثير من الأحيان مما يجعل الباحث في هذه الفترة يعتمد على ماكتبه المؤرخون القدماء الأجانب من اغريق ورومان الذين احتكت شعوبهم في المنطقة بالليبيين والنوميديين[26] ،

---

[25]-محمد فريد حشيش، الوثائق واهميتها في الدراسات التاريخية، مجلة سيرتا،العدد،5، السنة الرابعة ، جامعة قسنطينة،1982،ص.97.

[26]-يجمع المؤرخون القدماء منهم والمحدثين على أن نوميديا كانت تشتمل على تكتلات قبلية أشهرها : قباءل المازسيل والماسيل ، حيث كانت قبائل المازسيل تقطن الغرب الجزائري الحالي .أما قبائل الماسيل فكانت تتوضع في الشرق الجزائري وشمال نونس فيما عدا أرض الدولة القرطاجية ، ولم تكن لتلك القبيلتين حدود معلومة فينا بينها ، بل كانت في حالة مد وجزر.محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية والحضارة البونية ،ط.1، شركة دار الأمة للطباعة، برج الكيفان، الجزائر،1989.ص.50.

غير أن كتابة هؤلاء المؤرخين كانت وصفية في كثير من الأحيان مع تحيزهم الى شعوبهم في كثير من الأحيان.واعتماد هؤلاء المؤرخين على أساطير تصور النواحي الدينية والاجتماعية التي لاتخدم التاريخ السياسي في كثير من الأحيان واتخاذهم بعض الأحداث التاريخية الاغريقية والرومانية البارزة كنقاط اسناد تقاس عليها الأحداثالتاريخية الأخربفي بقية العالم المعاصر لهم ،غير أن هذه الأحداث يمكن أن تصدق بالنسبة للتاريخ الاغريقي والروماني، لكنها لاتصلح لشعوب مناطق القسم الجنوبي من البحر المتوسط. [27]

ويؤخذ على هؤلاء المؤرخين فكرة تدوينهم لأحداث كانت سابقة عليهم في الزمان والمكان. كما يؤخذ عليهم عدم معرفتهم لجهات ولغات الشعوب التي كتبوا عنها، كما نسجل معاداتهم للتواجد السامي (الفينيقيين والقرطاجيين) في بلاد المغرب القديم وذلك نظرا للتنافس السياسي والاقتصادي الذي كان سائدا حينذاك في الحوض الغربي للبحر المتوسط وبلاد المغرب القديم بين القرطاجيين والرومان. [28]

ثم جاء من بعدهم المؤرخون المحدثون، والذين عملوا على جمع تاريخ المنطقة وإعادة صياغته، غير أنهم أفرغوه من هويته وبذروا فيه ما بدا لهم من نظريات واستنتجوا منه ما أرادوا من استنتاجات لخدمة أهدافهم الاستعمارية في كثير من الاحيان.

غير أنهولكون هؤلاء الباحثين ينتمون الى حضارة لاتينية مسيحية فان اهتمامهم كان مركزا على المخلفات الاثرية للفترة الرومانية والمسيحية، فاجتهدوا في ابراز

---

[27]-محمد الصغير غانم،ملاحظات عامة حول اعادة كتابة تاريخ الجزائر القديم، مجلة سيرتا، معهد العلوم الاجتماعية ، جامعة قسنطينة، السنة الخامسة ، العدد8ن9، ديسمب 1983،ص 161-162.

[28]-محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية والحضارة البونية ،ص.10.

تاريخ المغرب خلالها باعتبار أن هذا النوع من الدراسة يمكنهم من الكشف عن القواعد المتينة للحضارة الرومانية المسيحية، ولعلهم كانوا يسعون من وراء ذلك الى تحقيق فكرة الاعتماد على تلك القواعد القديمة لبناء جسر حضاري (روماني–فرنسي) ، بحيث أن هؤلاء كانوا يعتبرون أنفسهم في وقت ما ورثة الحضارة الرومانية اللاتينية في بلاد المغرب، وأنه لا يسعهم الا أن يعملوا على صيانة ذلك الميراث الحضاري وابرازه واستغلاله في المجال السياسي.[29]

وقد امتاز التأليف الاستعماري بتوسيع مفهوم الوثيقة حيث شرع الباحثون الاوروبيون في الحفريات وسجلوا روايات شفوية وجمعوا الوثائق المكتوبة الاجنبية رسمية كانت أم أدبية.[30]

اننا اذا اعتبرنا الوثيقة التاريخية هي الوثيقة الأرشيفية وحدها فانه يترتب على ذلك أن كثيرا من أصول الحدث التاريخي لاتعد وثائق لأن أصول الحدث لاتقتصر على الوثائق الأرشيفية ، بل تتجاوزها الى غيرها ، بل قد لايكون من بينها الوثائق الأرشيفية أصلا، وبالتالي فقد نصل الى هذه النتيجة التي لايقبلها العقل ، وهي أن أصول الحدث التاريخي ليست وثائق ، وأن الدراسة التي لاتعتمد على الوثيقة الأرشيفية هي بالتالي دراسة غير موثقة .أما اذا اعتبرنا الوثيقة هي كل ماخلفه الحدث التاريخي من آثار فان معنى الوثيقة ينطبق عندئذ على معنى الأصل ، ويكون الأصل وثيقة بالضرورة [31]

وليس المقصود بالوثا ئق الآثار المكتوبة بل أن ماتشمله كلمة وثائق تاريخية وآثار هو أشياء كثيرة منها الرسائل والنقود والأوسمة والألبسة والسجلات

---

[29]-محمد البشير شنيتي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146 ق.م - 40م)المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر،1985،ص.9-10

[30]-عبد الله العروي، المرجع السابق،ص.15.

[31]-محمد فريد حشيش، المرجع السابق، ص.97.

الرسمية والوثائق السياسية والاحصاءات والحسابات والآلات والأدوات وحتى المباني والروايات الأدبية والأشعار ومختلف الآثار الأدبية والفنية ذات الصلة بالحدث محل الدراسة ، وكل الكتابات مهما كان موضوعها ، وبصفة عامة فان الوثائق هي الآثار المختلفة التي تركتها تجارب الأجيال الماضية ، وهي آثار مادية مكتوبة معرضة للتلف من قبل الحوادث الطبيعية أو الانسانية والتي قد تمحوها محوا أو تشوهها وتجعل الاستفادة منها ظئيلة. [32]

ان المؤرخين الأجانب الذين كتبوا عن تاريخ المغرب في عهد الاستعمار يرددون نغمة سوء حظ المغرب، يقولون أنه كان من سوء حظه أنه لم يدرك أن الغزو الروماني ذو طابع حضاري وأنه اعتنق الاسلام وأنه سقط ضحية (بني هلال) وأنه كان قاعدة القرصنة العثمانية. بيد أن سوء حظ المغرب هو أن تاريخه كتبه ولمدة طويلة هواة بلا تأهيل، جغرافيون وأصحاب افكار براقة وموظفون يدعون العلم، وعسكريون يتظاهرون بالثقافة. وبكيفية أعم مؤرخون بلا تكوين لغوي وتأهيل تاريخي يحيل بعضهم على الآخر، يعتمد هؤلاء على اولئك وتحاك خيوط المؤامرة لتفرض الافتراضات البعيدة كحقائق مقررة.[33]

واذا كانت العناية بالتاريخ القديم قد هدفت الى النيل من الدعوة الاسلامية فان الاهتمام بتاريخ القبائل البربرية كان قد رمى الى النيل من معالم العروبة بالمغرب العربي، واذا كانت العناية بالتاريخ القديم على ما فيها من جدارة وموضوعية ترمي الى غايات متكاملة أو لها: النيل من الضمير الاسلامي بالمغرب عن طريق الايحاء باحتمال زواله لفائدة أوروبا مثلما زالت لفائدته في

---

[32]-http://www.onefd.edu.dz/3ass/cours/nouveau_prog/Lettres-Langues/PHILOSOPHIE/ev3/5-Ev3-philo.pdf

[33]-عبد الله العروي، المرجع السابق ،ص.27.

القرن السابع قبل الميلاد معالم الحضارة الفينيقية والقرطاجية والرومانية والمسيحية، وثانيهما:التركيزعلى ماكان للمسيحية من انتشاربالمنطقة للايهام باحتمال تجديد التبشير بها.وثالثها:اعتماد الارث الروماني لاضفاء صبغة الشرعية والأصالة على أعمال الغصب والاستغلال الاستعمارية.[34]

ورغم أهمية الوثائق كمصدر هام للكتابة في التاريخ فانه يجب التنبيه الى الحذر في استخدامها وتجنب الوقوع تحت سيطرتها، ووجوب اخضاعها وفقا للمنهج العلمي السليم واضعين في الاعتبار أن هذه الوثائق–رغم أهميتها ليست مقدسات– فان المؤرخ في طبيعة رسالته أشبه ما يكون بالقاضي اذ يفصل في القضايا التاريخية التي يتناولها بالبحث والاستقصاء ومن جميع المصادر دون التركيز على مصدر بعينه، وعليه أن يقتبس من القاضي روح العدل الذي يستلهمه في قضائه، فعلى من يتصدى لكتابة التاريخ ان يتحرى الحق والانصاف والموضوعية.[35]

د-مشكلة اللغة:

تعد اللغة من أهم الوسائل المساعدة التي ينبغي على الباحث في التاريخ ان يتزود بها، فلا بد أولا من معرفة اللغة الاصلية الخاصة بالموضوع التاريخي المراد بحثه، فالراغب في الكتابة في التاريخ اليوناني القديم لابد عليه من معرفة اللغة اليونانية القديمة،وقس على ذلك بقية المواضيع الاخرى.

وإذا رجعنا الى الكتابات التاريخية التي تناولت تاريخ المغرب القديم لوجدنا أنها قد دونت بلغات أجنبية، وهذا يعد أحد أبرز المشاكل التي تواجه الباحث في هذا المجال، حيث تحول دون تمكنه من نقل الأحداث كما وقعت،

---

[34]-عبد العزيز بن عبد الله ، تاريخ المغرب، (العصر القديم والوسيط، مكتبة السلام، الدار البيضاء، المغرب،ص.129-130.

[35]-محمد فريد حشيش، المرجع السابق،ص.99.

فالنص التاريخي الذي كتب بلغات أجنبية قد يكون كتب في سياق تاريخي كثيرا ما يكون متناقضا مع الرؤى العلمية، ولهذا فان الاشكالية هنا تطرح من جانبين الجانب الأول: هو ما يتعلق بالطروحات الكولونيالية والجانب الثاني: هو الرؤى العلمية.

ه-صعوبات أخرى:

-صعوبة جمع المادة التاريخية فهي مبعثرة بين عديد الأماكن والخرائب والأطلال، وبين ثنايا التنقيبات الأثرية والمؤلفات الكلاسيكية والحديثة. وبالتالي فان الوصول اليها يتطلب جهدا كبيرا فيظل غياب دعم الجهات الرسمية وغير الرسيمية.

-تباين آراء المؤرخين والباحثين في هذا المجال اذ يجد الباحث نفسه أمام فرضيات وتفسيرات متناقضة للحدث الواحد في تاريخ المنطقة والأمثلة على ذلك كثيرة.

4-المقترحات:

-مراجعة الكتابات الكولونيالية لفترة ما قبل الاسلام باعتبارها قاعدة ثانية لاقامة مدرسة مغاربية خالصة تعنىبالتاريخ القديم للانطلاق منها نحو كتابة تاريخ المغرب بمقاييس جديدة مع التركيز على الجوانب التي أهملتها الكتابات الاستعمارية والتي كانت لا تهمه أو أنه تعمد تجنب البحث فيها.

-الاهتمام بالمصادر المادية كالفخار والنصب التذكارية والمقابر والأضرحة والتي لاتزال الى مزيد من الدراسات ، حيث يلاحظ هوة كبيرة بين ماتشير اليه المصادر الكتابية وما تثبته المصادر المادية من حيث التأريخ لبعض الأحداث.

-القيام بجرد شامل(بيليوغرافيا) لكل ما كتب عن المغرب القديم باقلام أوروبية منذ بداية القرن التاسع عشر الى غاية استقلال بلدان المغرب العربي، مع علمنا بأن مثل

هذا العمل يستحيل أن يقوم به أفراد بعينهم بل يجب أن تتظافر فيه مجهودات جميع المؤرخين المغاربة، وأن يكون ذلك تحت اشراف هيئات علمية مؤهلة.

-تشجيع البحث العلمي التاريخي بغية تطهير تاريخنا من الشوائب والارث الاستعماري (كتابة التاريخ الوطني باقلام وطنية).

-الاهتمام بالتراث الشفوي باعتبارع أحد المكونات الاساسية للتاريخ الوطني، ولا يمكن بأي حال من الاحوال اغفاله أو التغاضي عنه، فلابد من تدوينه باعتباره جزء من تاريخ أمتنا واقرار دراسة اللهجات المحلية حسب توزيعها الجغرافي.

-توحيد المصطلحات الجغرافية الخاصة ببلاد المغرب القديم والاتفاق على التسميات الخاصة بالسكان القدامى، وتلخيص البحوث من فوضى هذه التسميات بربر ،أمازيغ.....الخ).

-انشاء معاهد مختصة في مجال الدراسات التاريخية القديمة، وادراج دراسة اللغات القديمة في المدارس والمعاهد التي تدرس التاريخ ليتمكن الطلبة من ولوج البحث في التاريخ القديم.

-حماية المواقع الأثرية التي تعتبر مصدرا ماديا لكتابة التاريخ الحضاري لمنطقة، والقيام بالتنقيبات الأثرية في المواقع التي لم يتم التنقيب فيها بعد.

إنشاء مجلس أعلى للآثار أو هيئة للآثار كما هو الشأن في كثير من الدول للإشراف على المواقع الأثرية وحمايتها.

- الاهتمام بالنقوش اللوبية والبونية التي لا تزال حتى الآن لم تنل اهتمام الباحثين

-توجيه طلبة الدراسات العليا نحو البحث في التاريخ القديم لبلاد المغرب القديم ، فما نلاحظه حتى الآن أن معظم الطلبة الباحثين في التاريخ يميلون الى البحث في التاريخ الحديث والمعاصر وأن نسبة الرسائل المسجلة في التاريخ القديم على مستوى جامعاتنا قليلة جدا مقارنة بنظيرتها في الحديث والمعاصر.

-ربط حلقات التاريخ المغاربي بعضها ببعض -ما قبل التاريخ-الفترة الفينيقية القرطاجية، فترة الممالك البربرية، الفترة الرومانية ،الوندالية-البيزنطية الفترة الإسلامية- بما فيها الفترة العثمانية-الفترة الحديثة والمعاصرة.

قائمة المصادر والمراجع

1. -ابن خلدون عبد الرحمان ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العجم والبربر،ج.3، القاهرة، 1284.
   - السحاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمان ، القاهرة،1349.
2. -المقدمة ، مطبعة كتاب التحرير، القاهرة،1966.
3. -بيومي مهران ، تاريخ المغرب القديم، دار المعارف الجامعية، الاسكندرية، 1990.
4. -حسن عثمان، منهج البحث التاريخي ، ط.8، دار المعارف ، القاهرة .
5. -شارل انذري جوليان ، تاريخ افريقيا الشمالية ج.1 ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلامة ،الدار التونيسية للنشر 1983.

- عبد العزيز بن عبد الله ، تاريخ المغرب، (العصر القديم والوسيط، مكتبة السلام، الدار البيضاء، المغرب.

6. -عبد الله العروي، مجمل تارخ المغرب ،ط.5، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1966، ص.32.
7. -فوزي فهيم جاد الله ، مسائل في مصادر التاريخ الليبي القديم قبل (هيرودوت)(ليبيا في التاريخ) منشقرات الجامعة الليبية، بنغازي ، ليبيا،1967.
8. -قاسم عبده قاسم ، تطور منهج البحث في الدراسا تالتاريخية ، ط.1، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، كلية الآداب ، جامعة الزقازيق،القاهرة،2000.
9. محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية والحضارة البونية ،ط.1، شركة دار الأمة للطباعة، برج الكيفان، الجزائر ،1989.
10. -محمد الصغير غانم،ملاحظات عامة حول اعادة كتابة تاريخ الجزائر القديم، مجلة سيرتا، معهد العلوم الاجتماعية ، جامعة قسنطينة، السنة الخامسة ، العدد8ن9، ديسمب 1983.
11. -محمد الهادي حارش،التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ الى الفتح الاسلامي ، المؤسسةالجزائرية للطباعة ، الجزائر.

- محمد فريد حشيش، الوثائق واهميتها في الدراسات التاريخية، مجلة سيرتا،العدد،5، السنة الرابعة ، جامعة قسنطينة،1982،ص.

12. -مها عساوي ،المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ماقبل التاريخ الى عشية الفتح الاسلاميي، رسالة دكتوراه ، نوقشت بقسم التاريخ ، جامعة منتوري قسنطينة ، 2010.

13. .- محمدالبشيرشنيتي،الاحتلالالرومانيلبلادالمغرب (سياسة الرومنة146ق.م-40م)المؤسسةالوطنيةالوطنيةللكتاب،الجزائر،1985.

14.-هونشو .ف، علم التاريخ ، ترجمة وتعليق عبد الحميد العبادي ، القاهرة ،1937.

15.-**Gsell st ,Hirodote ,texte Relatifs,L'histoire De L'Afrique Du Nord ,ed , A.jordan et Leureux,Paris,1919.**

16. http://www.onefd.edu.dz/3ass/cours/nouveau_prog/Lettres-Langues/PHILOSOPHIE/ev3/5-Ev3-philo.pdf